وقفات مع

الإمام الكاظم عليه السلام

٣٥
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

وقفات مع

الإمام الكاظم عليه السلام

وقفات مع الإمام الكاظم

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد المصطفى المبعوث الأمين وعلى آله الأطايب الميامين أئمة الهدى بالحق المبين.

لا يخفى على كل ذي لبّ أن المعصومين عليهم السلام ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وانتهاء بالحجة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه «مثالٌ يحتذى به وقدوة لمن أراد النجاة في الدنيا والآخرة، إذ أنهم كانوا وما زالوا منهلا لا ينضب للعلم والأخلاق والفضيلة وسائر الكمالات الأخرى.

ونحن إذ نستذكر إمامنا كاظم الغيظ موسى بن جعفر عليه السلام علينا ان نستذكر أخلاقه وسجاياه وسلوكه في الحياة بل يجب أن نستوعب كل ما أراد أن يوصله إلى شيعته ومحبيه خصوصا ونحن نعلم إن كل ما قدمه لنا قد كلفه الكثير.. حيث قدم حريته ثمنا لرسالته وعانى من الملاحقة والتضييق وعيون الحكم العباسي.. وبعد كل ذلك قدم حياته قربانا على محراب الشهادة من أجل أن يعيش الآخرون.

إننا اذا اردنا ان نقابل تلك التضحيات التي قدمها الإمام الكاظم عليه السلام بما يستحقه منا.. فلا بد ان نكون على جانب عال

مـن الالتزام الخلقي والطاعة المطلقة لله وأن نلازم الحق دائما في جميـع مفاصل حياتنـا التي مهما طالت فسـوف لن نجني منها إلا العمل الصا لح إذا ما أردنا النجاة يوم الحسرة.

الإمام الكاظم كان كآبائه يحمل هموم الأمة ليوصلها إلى بر الأمـان والاطمئنـان، لذا فمن حقنا أن نفخـر بأعلامنا الذين سـطروا صفحات مشرقة للإنسـانية جمعاء وليس للمسلمين فقـط وذلـك من خلال ما قدموه من سـيرة عطرة تسـتحق ان تكـون دسـتورا للحياة فقد كانـوا بحق.. قمة الكمـال والعطاء ولم يبخلـوا بحياتهـم من اجل ا لجميع، فـإذا عرفنا ماذا يريد منـا الإمام الكاظم عليه السلام وانتقلنا بها من النظرية إلى التطبيق فسـوف نسـتطيع أن ننـال رضـا الله ورسـوله وآلـه الأطهـار.. فتعالوا نسـتقرئ معاً الأسـلوب الذي مارسـه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حياته مع محبيه ومع مبغضيه وذلك من خلال وقفات سـريعة مع ألقابه وسـجاياه وأقواله لنسـتلهم الكيفية الـتي يجب علينـا ان نتعامل بها مع الآخرين فنجعلها سـلوكا ومنهجا في حياتنا اليومية.

الوقفة الأولى..

كظم الغيظ

معروف أن هذه الصفة هي من أشهر القابه التي عرف بها فكثيرا ما كان عليه السلام يقابل الإساءة بالإحسان، ومهما كانت تلك الإساءة فانه عليه السلام بذلك القلب الطيب والنفس الصافية يضع أمام عينيه روح التسامح ومحاربة القطيعة وحب الناس لينتشر الود والوئام بين صفوفهم وليضرب لهم أروع الأمثلة في العفو ليكون لهم قدوة وأسوة وهو بكل خطوة يخطوها كان يعطي لأصحابه ومعاصريه وللأجيال التي تلته دروسا في مكارم الأخلاق وحسن المعاشرة مع الأهل والإخوان، قال المفيد: كان أوْصَل الناس لأهله ورحمه[1]، وقال ابن طلحة الشافعي: كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل ا لجاني بعفوه عنه[2].

روى الخطيب البغدادي من تلك الشواهد ما أسنده إلى جدّه يحيى بن الحسن عن غير واحدٍ من أصحابه: أن رجلاً كان بالمدينة يؤذي الإمام الكاظم ويشتم عليّاً، قال: وكان قد قال بعض حاشيته: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك أشدَّ النهي وزجرهم أشد الزجر، وسأل عن العمريِّ فذُكِر له أنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه في مزرعته فوجده فيها،

---

(١) الإرشاد: ٣١٦.

(٢) مطالب السؤول: ٦١/٢.

فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا تطَأْ زرعنا، فوطئه بالحمار حتّى وصل إليه، فنزل فجلس عنده وضاحكه وقال له: فكم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار، قال: فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله، فقام العمري فقبَّل رأسه، وانصرف، فراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلمّا نظر إليه قال: ﴿اَللّه أَعْلَمُ حَيْثُ يَجعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، فوثب أصحابه فقالوا له: ما قصّتك؟، قد كنتَ تقول خلاف هذا، قال: فخاصمهم وشاتمهم، وجعل يدعو لأبي الحسن موسى كلّما دخل وخرج[1].

ويَظهر من هذه الرواية أن الإمام الكاظم عليه السلام كان يعمل بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2] فما أحسن العفو.. وما أفضل من قلب يتسع للجميع مهما كانت منزلته.. سواء كان حرّ أم عبد، فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: أن عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدَّم إليه صَحْفَةً فيها طعام حارٌّ، فعجل فصبَّها على رأسه ووجهه، فغضب فقال له: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ﴾، قال: قد كظمتُ، قال: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: قد عفوتُ، قال: ﴿وَاللّه يُحبُّ المُحسِنِينَ﴾، قال: أنت حُرٌّ لوجه الله؛ وقد نحلتُك ضيعتي الفلانيَّة[3].

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣/٢٨-٢٩.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٨/٤٦.

نـرى مـن هاتـين الروايتـين أن الإمـام الكاظـم عليه السلام لم يكـن يقابل الإسـاءة بمثلها بل كان يحسـن إلى المسيء لا ضَعفاً منه أو خوفـاً، بـل كان ينتهج هذا النهج لهدايـة الناس إلى الطريق الصحيح ولتربية نفوسهم على نشر روح التسامح، فكان يدعو الناس بلسـانه وأفعاله وهو بفعله هذا يريد أن يقول لهم هذي أخلاقنـا أهـل البيـت.. أدبنا أدب الله ورسـوله، فمـن كان منكم منصفـا فليكن معنا لأن طريق أهل البيت هو طريق للنجاة لا يسلكه أحد إلا نجى، فنشر أسلوب التسامح والتعايش السلمي مـع الآخرين هو من افضل سـبل العيـش بوئام مما يبعث على الطمأنينة والاستقرار في المجتمع.

الوقفة الثانية..

العبد الصالح

عـرف الإمام الكاظم عليه السلام بالعبد الصا لح، وأصل العبودية هو الخضـوع والتذلل والطاعة المطلقة لله عز وجل بحيث لا يكون الإنسـان معترضا على ما قسـم الله له، والصلاح هو ما يشـمل كل الصفـات الـتي تصب في رضا الله سـبحانه وتعـالى كالوفاء بالعهـود، وحفـظ الحـدود، والرضـا بالموجـود، والصـبر علـى المفقـود وكل أنواع الصبر في مواطنـه، واعتناق العقائد الحقة، والقيام بالأعمال البدنية والمالية كالعبادة ا لجسدية والروحية والخمس والزكاة ومساعدة الفقراء وا لمحتاجين.

قـال جمـال الديـن أبـي الفـرج ابن ا لجـوزي في كتـاب صفة الصفوة:

موسـى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، أبو الحسـن الهاشمي عليه السلام، كان يدعى العبـد الصا لح لأجل عبادته واجتهـاده وقيامه بالليل، وكان كريمـاً حليماً إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال.

وقـال الخطيـب في تاريـخ بغـداد: كان موسـى يدعـى العبـد الصا لح من عبادته واجتهاده، وروى انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فسـجد سـجدة في أول الليل وسمع وهو يقول في سـجوده: «عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى ويأهل المغفرة» .. فجعل يردّدها حتى أصبح، وكان سخياً كريماً.

الوقفة الثالثة..

حسن الجوار

من أهم الأخلاق الإسلامية التي أكدت عليها رسالة النبي الأعظم ﷺ حسن الجوار والمعاملة الطيبة بين المتجاورين وهي من الأمور المهمة التي تدفع بالعلائق الاجتماعية نحو الاستقرار وركن لا يمكن تجاوزه في استمرار العيش الهنيء ضمن البقعة الجغرافية الواحدة.. ومعروف أنه لو لم يكن هناك بناءٌ للعلاقات على أساس طيب، مع تفشي الأخلاق الفاسدة.. فسوف لا يأمن الجار على عِرضه وولده وماله ويبقى متخوفا يلفه القلق عند غيابه عن البيت، ولو كان الجار صادقاً في قوله وأميناً في معاملته، وحافظاً لحقوق جاره فسيكون الجار الآخر في أمن وأمان واطمئنان منه، إذا ما شعر أن جاره يحفظه حاضراً وغائباً.

وقد لا يرى الإنسان أرحامه وذويه بقدر ما يلتقي بجاره، فالجار الأمين هو صديق لجاره وأنيس له، يساعده في حاجاته، ويعوده في مرضه ويخفف عنه أثناء شدته.

قال الرسول الأكرم ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام، وجار له حقان: حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق الجوار: المشرك من أهل الكتاب.[1]

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج/٧١ ص .١٥٥

وقد يصادف بعضنا من يؤذيه جاره ولا يخاف الله في أحد، لكننا عندما نقرأ قول الإمام الكاظم عليه السلام نراه قد أوصانا بالإحسان إلى الجار والصبر على تحمّل الأذى والمكروه منه: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى».

الوقفة الرابعة..

الثبات على المبدأ وقول الحق

من المبادئ العظيمة التي أراد الإمام الكاظم عليه السلام أن يربي الأمة عليها هو التزام جانب الحق والثبات على المبدأ وعدم مداهنة الظالمين وترك الخوض بالباطل، فانه اذا أفشى الناس هذه الظاهرة فسوف لا يُخاف من أحد على أحد، لأن أفراد المجتمع سوف يطمئنون على عدم ضياع حقوقهم وانها محفوظة لدى الآخرين.

وبالرغم من أن قول الحق فيه مرارة في بعض الأحيان قد تؤدي إلى خصومة بين الناس لأن في هذا العمل كشف لبعض حقائق الآخرين وتعريتهم، حتى أصبح أكثر الناس للحق كارهين.. بالرغم من كل ذلك أكد الإمام الكاظم عليه السلام على قول الحق قائلا: «قل الحق وإن كان فيه هلاكك فإن فيه نجاتك ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك فإن فيه هلاكك».

قد يعتقد البعض أن الكذب في مواضع معينة سوف يجلب لهم الخير الوفير أو يدفع عنهم الشر الكثير لكنه في حقيقة الأمر ما هو ألا جعل الأشياء هشة ضعيفة وقد تكشفها الأيام في أول فرصة لها، فلا يلحق بمدّعي الباطل إلا خزي وامتعاض

المجتمع منه وتقهقر سمعته بينهم وقد تطول هذه السمعة أولاده وذويه.

كما إن الإمام الكاظم عليه السلام أراد من الإنسان أن يكون عنصرا فاعلا في البيئة التي يعيشها سواء كان في البيت أو المدرسة أو محل العمل أو أي مكان آخر يتواجد فيه، بل لا بد أن يكون عنصرا إيجابيا منتجا وليس عالة على هذه الجهة أو تلك، وأن يكون له رأي سديد يساهم من خلاله في بناء المجتمع وتقوية أسسه بالعلم والمعرفة والحكمة، لأن الله قد اودع في الناس نعمة العقل لمواجهة صروف الحياة وابتلاءاتها ومن الواجب على المخلوق تجاه من أنعم عليه نعمة العقل، أن يشكره على تلك النعمة وأن لا يسخرها في طريق الشر، ومن مصاديق شكر نعمة العقل أن لا يبخل على مَن يطلب النصح منه بحجة عدم التدخل في أمور الآخرين.. فقد جاء عن ابن محبوب عن الفضيل بن يونس الكاتب: قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام: «أبلغ خيراً، وقل خيراً، ولا تكونن أمّعة»، قلت: وما الأمّعة ؟ قال: «تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا أيها الناس إنهما نجدان: نجد خير ونجد شر فما بال نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»[1].

(١) الاختصاص للشيخ المفيد ص ٣٤٣.

الوقفة الخامسة..

أداء الأمانة والصدق

إن المفاهيم التربوية التي نشرها أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الكاظم عليه السلام كلها نابعة من الله ورسوله فهم الخط المتمّم للرسالة النبوية وهم حجج الله الذين أكدوا على التحلي بما جاء في كتاب الله العزيز كأداء الأمانة والصدق في الحديث، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (١)، ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٢)، ويتضح من هاتين الآيتين أن الله عز وجل قد أمر عباده بأداء الأمانات وعدم الخيانة التي هي من صفات الفاسقين كما بيّن الله عز وجل على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام دعاءه الذي طلب فيه لسانا لا يحيد عن الصدق أبدا، لما للصدق من تأثير كبير على اكتساب ثقة الناس، وهذا هو ديدن الأنبياء والرسل عليهم السلام فها هو رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله قد عُرف قبل بعثته بالصادق الأمين وقد امتلك قلوب الناس بهاتين الصفتين الكريمتين.

وهكذا فقد حث الإمام الكاظم أصحابه ومحبيه على تعوّدهم الصدق في الكلام وأن لا يكونوا من الخونة الذين قال

---

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) سورة الشعراء: ٨٤

فيهم سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [1] ولقد دلّنا الإمام الكاظم عليه السلام على مفتاحين نستطيع بهما جلب الأرزاق وإبعاد الفقر عنا قائلا: «أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق» [2]، وقال عليه السلام: «أحسن من الصدق قائله وخيرٌ من الخير فاعله» [3].

(١) الأنفال: ٥٨

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ٧٥ ص ٢٢٧.

(٣) أمالي الطوسى ج ٢ ص ٢٠٩

الوقفة السادسة..

بر الوالدين

لعل من اهم ما يديم العلاقات الطيبة داخل الأسرة الواحدة هو بر الوالدين الذي قرنه الله عز وجل بالعبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] فإن البر من دواعي توفيق الله للأبناء وإطالة العمر، وهو بمثابة دائن ومدين فكيفما كان سلوك الأبناء مع الوالدين سيكون سلوك أبنائهم معهم عندما يصبحون آباءً، وقد عده الإمام الكاظم عليه السلام من أفضل طرق التقرب إلى الله تعالى وقد أضاف إليها ترك الحسد لأنه يخلف الحقد والضغينة، وحث الناس على عدم العُجب والفخر لأنهما يؤديان إلى توهين العلاقات الاجتماعية وتفشي حالة التكبر على الآخرين مما يضعف وحدة الأسرة أو العشيرة وبالتالي تفكك البيئة اجتماعيا.. لذلك نجده قد أوصانا قائلا: «أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة به: الصلاة، وبر الوالدين، وترك الحسد والعُجب والفخر»[2].

---

(١) النساء : ٣٦

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج٧٥ ص٣٠٦

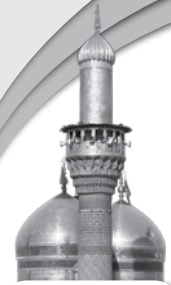

الوقفة السابعة..

إغاثة الملهوف

في التعاليم الإسلامية الهامة التي دعت إليها الرسالة النبوية وأوجبت على المسلمين العمل على تطبيقها إغاثة المستجير والملهوف، وهي دعامة متينة من دعائم البناء الاجتماعي في الإسلام. وقد أرسل الله تبارك وتعالى النبيين ليرشدوا الناس إلى الصراط المستقيم، ولو أهمل تطبيق الشريعة الإسلامية لاستشرى الانحلال الأخلاقي في المجتمع البشري، وبذلك يكون إغاثة الملهوف من أوجب الواجبات التي تترتب على الفرد في المجتمع الإسلامي المصون، وبصورة خاصة في أيامنا هذه حيث أصبحنا في عصر استولت على قلوب البشر المداهنة والمداراة، ونسوا أو تناسوا الخالق الذي أمرهم با لمحبة والأخوة، فاسترسلوا في اتباع أهوائهم وأنانيتهم بلا حدود، فعمّت الفتن، وشاعت ا لجهالة وضاعت الفضائل الأخلاقية، لهذا أراد الله سبحانه وتعالى من المسلمين أن يكون منهم من يدعو إلىالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [1]

وهذه المسؤولية تقع على عاتق ا لجميع، بل من واجب كل

(١) آل عمران: ١٠٤

مؤمن ومؤمنة التصدي للظلم، والدعوة إلى الخير، ومساعدة إخوانه المحتاجين، فهم إن لم يكونوا إخوة لنا في الدين فهم نظير لنا في الخلق كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

والإمام الكاظم عليه السلام: حث أصحابه على إغاثة المستجير، وقضاء حاجة المحتاجين عندما قال: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيرا به في بعض أحواله فلم يُجِره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزوجل»[1].

كما أمرهم بقضاء حاجة الناس بقوله عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعا من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة»[2].

وقال عليه السلام في فضل من يقضي حاجة أخيه المؤمن:

«إن لله عبادا في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً، فرّح الله قلبه يوم القيامة»[3].

وهكذا فقد أعطانا الإمام الكاظم عليه السلام الوسيلة التي نفرح بها غدا عند الله، فما أيسر أن يكون أحدنا آمنا يوم الفزع الأكبر

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٦ ص ٣٨٦.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦١.

(٣) المصدر السابق ص ٣٦٦.

وأن الله سيفرح قلبه يوم القيامة وذلك من خلال قضاء حوائج الناس التي جعلها وسيلة اتصال بولاية آلِ محمد ومن ثم بولاية الله ومن كان ولياً لله فإن ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [1].

(١) سورة يونس: الآية ٦٢.

الوقفة الثامنة..

التراحم والمودة

حث ديننا الحنيف على التزاور والتواصل والتراحم بين المسلمين، لأن ذلك يوطد أواصر المحبة فيما بينهم ويطلعهم على حاجات بعضهم البعض فيعرفون كيف يكمل بعضهم الآخر.

ولكن ما نوع المحبّة التي يبغيها الإسلام للمؤمنين؟ إنها ليست تلك التي تقوم على المصالح الشخصية والاجتماعية والسياسية، بل هي المحبّة الخالصة لوجه الله تعالى، تلك التي تدفع صاحبها إلى روح التسامح ونكران الذات بعيدا عن الفائدة التي يرجوها من ذلك التواصل مع أفراد المجتمع الواحد، ومن دون ان ينتظر كلمة شكر من أحد.. وهذه المحبّة الناتجة عن التزاور والتعاطف تدوم وتستمر لأنها لوجه الله، وما كان لله ينمو، بل دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله»[1] ومن هذا الينبوع الغزير «المحبة» تفيض ألوان من التراحم والتعاطف بين الناس ليجد المؤمنون في جوارها برد السلامة والعافية.

---

(١) عوالي اللآلي لابن أبي جمهور الإحسائي ج ١ ص١٠١.

وامتدادا لهذا السراج النبوي في التربية والأخلاق كان الإمام الكاظم عليه السلام يأمر أصحابه بالتودد والتآلف وزيارة بعضهم بعضاً لأنها توجب شيوع المودة بينهم، مضافاً لما لها من الأجر العظيم عند الله، حيث كان يقول لهم عليه السلام: «من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره يطلب به ثواب الله، وتنجز ما وعده الله عز وجل، وَكَّل الله عز وجل به سبعين ألف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه ينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة تبوأت من الجنة منزلا»[1].

وروى الكليني بإسناده عن محمد بن سليمان، عن محمد بن محفوظ قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض»، وقال عليه السلام: «وإن المؤمنَين يلتقيان، فيذكران الله، ثم يذكران فضلنا أهل البيت، فلا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم إلا تخدد حتى أن روحه لتستغيث من شدة ما تجد من الألم»[2].

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٧١ ص ٣٥٠.

(٢) مستدرك سفينة البحار للنمازي ج٤ ص٣٦٤.

الوقفة التاسعة..

السخاء وحسن الخلق

من أهم الأسس التي تساهم في بناء مجتمع رصين خالٍ من الانحراف الاقتصادي أو مسببات السرقة كالعوز والفاقة، هو مساعدة الفقراء والمحتاجين، فقد حثّ القرآن الكريم على ذلك ورغّب فيه ودعا إليه بأسلوب هو غاية في الروعة والرقة، فيه التشوق والاندفاع إلى العطاء.. ألا وهو قرض الله قرضاً حسناً، وهل هناك أكرم وأعظم من هذا الذي نقرضه؟ إنه العلي القدير، واهب كل شيء ورازق الخلق أجمعين.. قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[1]

فأي تلطف من رب العالمين تبارك وتعالى في هذا التعبير الذي يجعل الإحسان بمثابة الإقراض وإنما يقترض المحتاج! والله غني عن العالمين، ولقد جاء التعبير بمثل هذه الصورة نيابة عن الفقراء والمحتاجين ودفاعاً عنهم، وهو أسلوب قرآني في التربية وتوجيه السلوك الصحيح.. فما قيمة امرئ يبخل بإقراض بعض المال لواهبه الذي سيرده بلا ريب أضعافاً مضاعفة!! وانطلاقا من هذا المفهوم القرآني حرص الإمام الكاظم عليه السلام على حث أصحابه للتحلي بالسخاء وحسن الخلق قائلا لهم:

---

(١) البقرة: ٢٤٥

«السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يتخلى الله منه حتى يدخله الله الجنة وما بعث الله نبيا ولا وصيا إلا سخيا، ولا كان أحد من الصالحين إلا سخيا، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى»[1].

اشتهر الإمام الكاظم عليه السلام في عصره بالجود والسخاء وسعة العطاء، حتّى بلغ ذلك - فيما روى الرواة - أنّه كان يتفقّد فقراء المدينة في الليل، فيحمل إليهم العينَ والوَرِقَ والأدقَّة والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أيّ جهة هو[2]، وذكر جماعة من أهل العلم: «إن أبا الحسن عليه السلام كان يصل بالمائتي دينار إلى ثلاثمائة دينار»، وكان «يُضرَب المَثَلُ بصرار موسى» حتّى قيل: «عجباً لمن جاءته صرّة موسى فشكا القلَّة»[3].

وتناقل المحدِّثون والمؤرّخون حتّى كاد يبلغ حدَّ التواتر: أن الإمام عليه السلام «كان يسمع عن الرجل أنّه يؤذيه فيبعث إليه بصرَّة فيها ألف دينار - وفي لفظ ابن كثير الدمشقي: فيرسل إليه بالذهب والتحف، وكان يصرُّ الصرر ثلاثمائة وأربعمائة دينار ومائتي دينار، ثمّ يقسّمها بالمدينة»[4].

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٢١ ص ٥٤٤.

(٢) الإرشاد: ٣١٦ - ٣١٧ والمناقب: ٣٧٩/٢ والفصول المهمّة: ٢١٩ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار:١٠٢/٤٨ ونور الأبصار: ١٣٨.

(٣) الإرشاد: ٣١٨ والمناقب: ٣٧٩/٢ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ١٠٤/٤٨ و١٠٨و ٢٤٨.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ وتاريخ بغداد: ٢٧/١٣ - ٢٨ ووفيات الأعيان: ٣٩٣/٤ وسير أعلام النبلاء: ٢٧١/٦ والبداية والنهاية: ١٨٣/١٠ ومرآة الجنان: ٣٩٤/١=

وجاء في أمثلة ذلك السخاء ما أخرجه الخطيب البغدادي والذهبي عن عيسى بن محمّد بن مغيث القرظي - وكان قد بلغ تسعين سنة حينما حدَّث بهذا الحديث - قال:

«زرعتُ بطيخاً وقِثَّاءً وقرعاً في موضع با لجوّانية على بئر يقال لها أُمُّ عظام، فلمّا قرب الخير واستوىَ الزرع بغتني ا لجراد فأتى على الزرع كلّه، وكنتُ غرمتُ على الزرع ثمن جملَيْنْ ومائة وعشرين ديناراً، فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر بن محمّد، فسلَّم ثمّ قال: ايش حالك؟ فقلتُ: أصبحتْ كالصَّريم، بغتني ا لجراد فأكل زرعي، قال: وكم غرمتَ فيه؟، قلت: مائة وعشرين ديناراً مع ثمن ا لجَملَيْنْ، فقال: يا عرفة؛ زِنْ لأبي المغيث مائة وخمسين ديناراً... فقلت: يا مبارك؛ ادخلْ وادعُ لي فيها، فدخل ودعا... ثمّ علَّقت عليه ا لجملين وسقيتُه، فجعل الله فيها البركة، زكتْ فبعتُ منها بعشرة آلاف»[1].

والشواهد كثيرة على كرم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وسخائه، وهذا كان احد الأسباب التي جعلت ا لجماهير تلتف حوله وتقصده في حوائجهم وملماتهم، ويعلِّق المستشرق دونالدسن على هذا السخاء فيقول: «ربّما كان هذا السخاء والكرم ممّا جعل المهديَّ يرتاب به، فأقدمه إلى بغداد وحبسه»[2].

=والأئمّة الاثنا عشر: ٨٩ وشذرات الذهب: ٣٠٤/١ وينابيع المودّة: ٣٨٢.

(١) تاريخ بغداد: ٢٩/١٣ وسير أعلام النبلاء: ٢٧٢/٦.

(٢) عقيدة الشيعة: ١٦٤.

الوقفة العاشرة..

العمل وعدم التكاسل

كان من أساليب الإمام الكاظم عليه السلام في التوجيه هو اللغة البدنية أو التخاطب الإيمائي وهذه الطريقة في التعليم تشمل الجميع سواء كان من الأصحاب أو من خارجهم، لأن الجميع سوف يرون تصرف الإمام مع الآخرين وسلوكه مع ذاته، وهذا مما يوصل رسالة محددة إلى أكبر عدد ممكن، ومنها الحث على العمل وعدم التكاسل لكسب العيش، وبالتالي سوف يكون هناك مجتمع منتج غير مستهلك يعمل على بناء الأوطان وتقوية اقتصاده وازدهاره، فقد كان الإمام عليه السلام يعمل في بعض الأراضي بيده أحيانا، إذ روى علي بن حمزة قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يعمل في أرضٍ له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك، أينَ الرجال؟ فقال: «يا علي، قد عمل باليد من هو خير منّي في أرضه»، فقلت: ومَن هو؟ فقال: «رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وآبائي كلّهم كانوا قد عملوا بأيديهم»[1].

وقال عليه السلام: «إن الله عز وجل يبغض العبد النوام الفارغ.. إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تعمل، وإن ضجرت لم تعط الحق.. إياك والكسل والضجر، فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة»[2].

---

(١) الكافي للكليني ج٥ ص٧٥ وبحار الأنوار للمجلسي ج٤٨ ص١١٥.

(٢) الكافي للكليني ج٥ ص٨٤ و٨٥.

الوقفة الحادية عشر..

استمالة الخصم

إنّ الفضل بن يحيى لمّا اطَّلع على عبادة الإمام وانقطاعه إلى الله في جميع أوقات الليل والنهار وسَّع عليه وأكرمه، وأن ذلك قد علم به الرشيد - وكان في الرقّة يومذاك - «فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى عليه السلام ويأمره بقتله، فتوقّف عن ذلك ولم يُقْدِم عليه، فاغتاظ الرشيد لذلك، ودعا مسروراً الخادم، فقال له: أخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد وأدخل من فورك على موسى بن جعفر، فإن وجدتَه في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العبّاس بن محمّد ومُرْهُ بامتثال ما فيه وسَلَّم إليه كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العبّاس بن محمّد»، فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحدٌ ما يريد، ثمّ دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرشيد... إلى آخر الرواية[1].

مما تقدم يظهر من هذه الرواية كيف كان إمامنا الكاظم عليه السلام يؤثر في خصومه من خلال الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة التي كان يحملها الإمام عليه السلام وإن عدم المعاملة بالمثل

(١) النصّ في مقاتل الطالبيين: ٥٠٣-٥٠٤ والإرشاد: ٣٢٢-٣٢٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٣٣-٢٣٤. ومعظمه في المناقب: ٢/٣٨٥-٣٨٦ وبعضه في الفصول المهمّة: ٢٢٠-٢٢٢ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٠٧-٢١٠و٢٢١ ونور الأبصار: ١٣٨-١٣٩.

بـل مقابلة الإسـاءة بالإحسـان والتـزام جانب الحـق والعبادة المنقطعة إلى الله من دون إثارة المشاكل والمنغصات، أدى كل ذلك إلى تعاطف الآخرين معه حتى لو كان من خصومه ومناوئيه.

الوقفة الثانية عشر..

أقواله عليه السلام في الآداب والسلوك

سنورد في هذه الوقفة الأخيرة بعض ما جاء من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام والتي حرص من خلالها على توجيه الأمة بالتعامل على مبدأ لا يرفضه احد في أي مجتمع بغض النظر عن الدين، وبالتالي فهو ليس موجه للمسلمين فقد بل للإنسانية جمعاء، لأن فيه كل المقومات التي من شأنها أن تكون منهجا سلوكيا باتجاه الرقي والكمال.. فمن أقواله عليه السلام:

❖ «إن الله عز وجل يبغض القيل والقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[1].

❖ «إذا كان الجور أغلب من الحق، لم يحلّ لأحد أن يظن بأحد خيراً، حتى يعرف ذلك منه»[2].

❖ « التودد إلى الناس نصف العقل »[3]

❖ «إذا كان ثلاثة في بيت فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك مما يغمه»[4].

---

(١) الكافي للكليني ج ٥ ص٣٠١.

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص٢٩٨.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص٦٤٣.

(٤) المصدر السابق ج٢ ص٨٨٠.

❖ «لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك,ابق منها فإن ذهابها ذهاب الحياء»[١].

❖عـن محمد بن الفضيـل, عن أبي الحسـن الأول عليه السلام قال: قلـت له: جعلت فـداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشـيء الذي أكرهه، فأساله عن ذلك فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي: «يا محمد كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك فإن شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً فصدقة وكذبهم، لا تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته، فتكون من الذين قال الله في كتابه: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»[٢].

❖قال عليه السلام: «أخذ أبي عليه السلام بيدي ثم قال: يا بني إن أبي محمد بـن علي عليه السلام أخذ بيدي كما أخـذت بيدك قال: إن أبي علي بن الحسـين عليه السلام أخـذ بيدي وقـال: يا بني افعل الخـير إلى كل من طلبـه منـك, فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه, وإن لم يكن مـن أهلـه كنت أنت من أهله، وإن شـتمك رجـل عن يمينك، ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك، فاقبل عذره»[٣].

❖« ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه»[٤].

---

(١) الكافي للكليني ج٢ ص٦٧٢.

(٢) المصدر السابق ج ٨ ص١٤٧.

(٣) المصدر السابق ج٨ ص١٥٢.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص٦١.

❖ عن علي بن سويد, عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ومن يتوكل على الله فهو حسبه؟ فقال: «التوكل على الله درجات، منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها»[1].

❖ سُئل عن المَلَكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنة؟ فقال عليه السلام: «ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟ قلت: لا، قال: إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال: صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد هم بالحسنة فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له وإذا هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه»[2].

❖ «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها, وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله, وثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء, لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها »[3]

---

(١) الكافي للكليني ج ٢ ص٦٢.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص٤٢٩.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص٣٨.

❖ «من نزّه نفسه عن الغناء فإن في الجنة شجرة يأمر الله عز وجل الرياح أن تحركها فيسمع لها صوتاً لم يسمع بمثله، ومن لم يتنزه عنه لم يُسمِعَهُ»[١]

❖ قيل له: جعلت فداك إني أقعد مع قوم يلعبون بالشطرنج ولست ألعب بها ولكن أنظر، فقال: «مالك ولمجلس لا ينظر الله إلى أهله»[٢].

❖ سُئل عن الميت يزور أهله؟ قال: «نعم» فقلت: في كم يزور؟ قال: «في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته»، فقلت: في أي صورة يأتيهم؟ قال: «في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح، وإن رآهم بشر وحاجة حزن واغتم»[٣].

(١) الكافي للكليني ج ٦ ص٤٣٤.

(٢) المصدر السابق ج ٦ ص٤٣٧.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص٢٣٠.

الخاتمة

إن استذكار الإمام الكاظم عليه السلام لا بد أن يكون استذكاراً لأخلاقه ومواقفه، ولطالما أدخل أعداؤه على قلبه الحزن عندما تعرض لسجونهم وتضييقهم إلا أنه صبر على كل ذلك، بل قابل كل إساءة صدرت منهم بإحسانه إليهم حتى لا تكون لهم حجة عليه عندما يقفون أمام من هو عادل جبار.. وكلنا يعلم معاناة الإمام عليه السلام.. وهنا يجب أن نسأل أنفسنا لماذا عانى الإمام ما عاناه؟ هل لكي نتعاطف معه بالدمعة فقط؟..

يقين لدينا أن مواساة أهل البيت عليهم السلام بحزننا لحزنهم فيه ثواب عظيم، ولكن عندما نستوعب أخلاق إمامنا الكاظم عليه السلام ونقتدي بهداه ونلتزم وصاياه، فإن في ذلك إدخال السرور على قلبه.. فإن كان أعداؤه قد ظلموه وأحزنوه فواجب علينا أن نفرحه بأعمالنا الطيبة.. بأخلاقنا الكريمة.. حتى لا تذهب تضحيته من أجلنا سدى.. نسأل الله تعالى أن يوفقنا في الدنيا لمرضاته ومرضاة نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام وأن يشملنا في الآخرة برحمته ويرزقنا شفاعة محمد وآل محمد عليهم السلام إنه سميع مجيب والحمد لله أولاً وآخراً.

الفهرس

المقدمة..... ٣

الوقفة الأولى.. كظم الغيظ..... ٥

الوقفة الثانية.. العبد الصالح..... ٨

الوقفة الثالثة.. حسن الجوار..... ٩

الوقفة الرابعة.. الثبات على المبدأ وقول الحق..... ١١

الوقفة الخامسة.. أداء الأمانة والصدق..... ١٣

الوقفة السادسة.. بر الوالدين..... ١٥

الوقفة السابعة.. إغاثة الملهوف..... ١٦

الوقفة الثامنة.. التراحم والمودة..... ١٩

الوقفة التاسعة.. السخاء وحسن الخلق..... ٢١

الوقفة العاشرة.. العمل وعدم التكاسل..... ٢٤

الوقفة الحادية عشر.. استمالة الخصم..... ٢٥

الوقفة الثانية عشر.. أقواله عليه السلام في الآداب والسلوك.... ٢٧

الخاتمة ٣١

إن استذكار الإمام الكاظم عليه السلام لا بد أن يكون استذكاراً لأخلاقه ومواقفه، ولطالما أدخل أعداؤه على قلبه الحزن عندما تعرض لسجونهم وتضييقهم إلا أنه صبر على كل ذلك، بل قابل كل إساءة صدرت منهم بإحسانه إليهم حتى لا تكون لهم حجة عليه عندما يقفون أمام من هو عادل جبار..

عندما نستوعب أخلاق إمامنا الكاظم عليه السلام ونقتدي بهداه ونلتزم وصاياه، فإن في ذلك إدخال السرور على قلبه.. فإن كان أعداؤه قد ظلموه وأحزنوه فواجب علينا أن نفرحه بأعمالنا الطيبة.. بأخلاقنا الكريمة.. حتى لا تذهب تضحيته من أجلنا سدى..